# الفصل الرابع

# منظور علماء الاجتماع للجنوح

1. تصنيف منظور علماء الاجتماع للجنوح
   1-1. المنظور الثقافي للجنوح
   1-2. منظور الاضطراب الاجتماعي للجنوح
   1-3. منظور الصراع الثقافي للجنوح
2. منظور الترابط الثقافي للجنوح
3. منظور اللا مساواة الاجتماعية
4. تعليق على منظور علماء الاجتماع

# الفصل الرابع

## منظور علماء الاجتماع للجنوح

### 1- تصنيف منظور علماء الاجتماع للجنوح:

إن التراث السسيولوجي في الانحراف الاجتماعي (الجنوح) مر بمراحل متعددة، منها: التفسير الفلسفي والجغرافي والاقتصادي، ثم جاء بعده الاتجاه البيولوجي وأخيرا الاتجاه الاجتماعي .

حاول كل من " لوهال .هـ Lehall L, 1995، روبير لاسكوم .Robert Lascome 1974،ميكيلي. ل " Muccheilli L , 1994 وغيرهم . جمع نظريات علم الاجتماع التي تناولت ظاهرة الجنوح في فئات كبرى ؛ حيث ركز البعض منهم على التناول الثقافي والصراع، وأرجعوا عامل التفاعل الثقافي هو السبب في توليد الجنوح من أمثال "وليام طوماس W. Tomson 1910، فلوريان زنانيكي F. Znaniki، ثورستين سيلي T. sillin , 1938، ايدوين سوذرلاند E Sutherlind" وغيرهم.

بينما ركز البعض الآخر منهم على مبدأ الطبقة الاجتماعية مثل " أ، ك كوهين، كلووارد أوهلين " الذين يرون أن السبب يرجع إلى انعدام تساوى وسائل توزيع النجاح الاجتماعي، أو عدم تساوى ظروف المعيشة .

كما ركز البعض على ظاهرة الشباب مثل " بلوش Bloch . K، نيدرهوفر " Neederhoffer من زاوية الاختلافات الاجتماعية المرتبطة بالفئات العمرية والظواهر الاجتماعية العامة والعمليات الاجتماعية، وكيفية الولوج في عالم الكبار.

وهكذا يلاحظ من خلال هذه النظريات المختلفة أنه يمكن تصنيفها إلى تناولين كبيرين، هما :

#### 1-1- المنظور الثقافي للجنوح:

ويظم نظرية الاضطراب الاجتماعي، ونظرية الصراع الثقافي، ونظرية الترابط الثقافي...، وهي نظريات كما نرى تتخذ التفاعل الثقافي سببًا في توليد الجنوح،

ولاغـرابة فى ذلك؛ حـيث ظهـرت هذه النظريات فى الولايات المتـحـدة ذات الأجناس والثقافات المختلفة، ومن ثم الثقـافات المتنوعة والمتناقضة أحيانًا، ومن بين هذه النظريات سنحاول تلخيص :

**1. 2 .منظورالاضطراب الاجتماعى:**

حـيث ظهـر بظهـور المرجع الأساسـى لكل من " وليـام توماس و فـلوريان زنانيكى "1910 Thomson ,W. F. Znaniki فـحـسب هؤلاء أن قـدوم المهـاجـرين للولايات المتحدة الأمـريكية، وتجمعـهم بالأحياء الفقيـرة، يحتم عليهم التعـايش فيها كجـماعات متناقضـة، مما نتج عنه صراع ثقافى بين ثقافـات هذه الجماعات الواردة فيـما بينها، وبين ثقـافة المجـتمع الأمـريكى الأصلى ، نجم عنه تراضى فى المعـايير، وهذا مـا خلق تناقضـا وجدانيـا واهتزازا فى الأخـلاق؛ الشىء الذى شجع انتهـاك المعاييـر. مما أدى إلى ضعف عمليـة التثاقف آليا، نتـج عنه أفراد دون مراجع ثقافـية .فى (Muccheilli L , 1994, ,p 14).

**1- 3 - منظورالصراع الثقافى للجنوح:**

على غـرار النظريات السـابقة تقـول هذه النظريات بتـساكن الثـقـافات مع بعـضهـا البعض.. إلا أنها عكس نظرية الاضطراب الاجتماعى، أعطت تفسيرا آخر لهذا التساكن من حيث إنه صراع بين الثقافات فى أحياء المدن الأمريكية .

يذهب فى ذلك " ثورستـين سيلين " 1938 .T. Sillin إلى أن الصراع يظهر نتيجة لتعـايش ثقافتـين، إحداهما تسـمح بسلوك ما وأخرى تمنعـه؛ ذلك إن معدلات الجـريمة والانحراف فى التـجمعـات البشرية مـا هى إلا انعكاس للتباين الثـقافى بين الجمـاعات الأولية التى ينتمى إليـها أفراد تلك التجمـعات البشرية؛ أى إن كل فرد يرتبط بمجـموعة من الوحدات تقوم معـايير سلوكية، يلزم الفرد بها مقابل انتـمائه لتلك الوحدة (الأسرة، جماعـة المدرسة، جماعة العـمل، جماعة اللهـو). وكلما تعددت الجماعـات التى ينتمى إليها الفـرد، ازدادت المعايير التى يطالب بالالتـزام بها، وتعددت فرص انعـدام الانسجام بين المعايير السلوكية لتلك الجـماعات؛ مما يؤدى إلى تناقض أو صراع داخلى لدى الفرد قـد يؤدى به إلى التـخلى عن بعض تـلك المعـايير؛ ممـا يؤدى به إلى الانحـراف فى نظر

الجماعة التى تخلى عن معاييرها...". فى (د.ناجى محمد هلال، 2002، صص261-262 ).

غير أن هذه النظرية تبقى ضيقة فى تفسير الظاهرة . مما جعل " البير كوهين" Kohein.A 1950 يقترح توسيع هذه النظرية بإضافة ليس فقط المعايير القديمة النابعة من الأسرة، بل كذلك معايير المراهقين النابعة من الجماعات العمرية المتقاربة والمناقضة للسيطرة الأبوية .

وهكذا ترى هذه النظرية أن المراهق إذا انتهك معايير الكبار.. فلأنه مدعم بثقافة المراهقين ، وهذا ما يشجع على ظهور الجنوح.

تذهب هذه النظرية التى طورها " كوهين " فيما بعد إلى القول بالصراع الثقافى بين الأجيال.. غير أنه إذا صح هذا فى المجتمعات الغربية التى تبنى كل أفكارها على الصراع، فإن الثقافة الإسلامية لها بذور صراع الأجيال مثل ما هو عند الغرب، بل تتكامل الأجيال فيما بينها أكثر من أن تتصارع، (هذا الكلام يحتاج إلى تحقيق علمى فى الثقافة الإسلامية). ولذلك تظهر هذه النظرية عجزًا، الشىء الذى يجعل تعميمها على كل الثقافات أمرًا قد يشوبه الخطأ .

## 2.منظور الترابط الثقافى للجنوح:

ظهرت هذه النظرية فى الثلاثينيات ضمن كتاب بقى مرجعًا فى علم الجريمة لمدة طويلة لصاحبه " ايدوين سوذرلاند . " E. Sutherlind، فبالنسبة إليه لا يرجع الانحراف لا لصراع ثقافى، ولا لنقص فى الإمكانيات، وإنما يرجع إلى عملية التعلم .

ذلك فى رأيه أن السلوك الإجرامى متعلم بواسطة التفاعل مع الآخرين، بواسطة عملية التواصل.

جزء من هذا السلوك يتعلم خصيصا بين الجماعات الضيقة (الأسرة و الأنداد) عن طريق القدوة والمثال. ويشمل هذا التعلم: التدريب على الانحراف، كيفية تعلم تقنيات ارتكاب الجنح، وقد تكون هذه التقنيات مبسطة أو معقدة، وكذلك كيفية توجيه الدوافع والميول والتفكير والاتجاهات نحو الانحراف.

يذهب " سوذرلاند " إلى إن انخراط الشخص فى السلوك الإجرامى يتم من خلال عمليات ذات مراحل متتابعة؛ حيث تفضى كل مرحلة إلى المرحلة التى تليها، وهى:

- إن تعلم السلوك الإجرامى يتم خاصة داخل جماعة صغيرة يربط بين أفرادها روابط شخصية متينة - السلوك الإجرامى يتم تعلمه، وهذا يعنى نفى وراثة السلوك الإجرامى.

- إن عملية تعلم الإجرامى تتكون من عنصرين: الأول فن ارتكاب الجريمة، والثانى توجيه الميول وتبرير التصرفات الخاصة بهذا السلوك .

- يصبح الشخص مجرمًا عندما تتغلب عوامل مخالفة النصوص القانونية على عوامل احترام هذه النصوص .

إن المراحل السابقة كما يذهب إلى ذلك " سوذرلاند " يمر بها كل أفراد المجتمع مجرمين وغير مجرمين، فالشخص يصبح مجرما حينما يكون على اتصال بنماذج إجرامية، وفى الوقت نفسه غياب النماذج السوية، وبعبارة أخرى كل فرد يتشبع بثقافة الوسط المحيط ... وعلى ضوء هذه المراحل السالفة الذكر يقرر " سوذرلاند " أن الجريمة متأصلة فى التنظيم الاجتماعى، وهى تعبير عن طبيعة هذا التنظيم... فى (د/ ناجى محمد هلال، 2002، ص ص271-272 ).

إلا أن السؤال الذى يطرح هنا، أنه إذا كان ما سبق صحيحا، فلماذا إذًا يختار أحدهم السلوك المنحرف والآخر غير ذلك؟

يرجع "سوذرلاند" فى ذلك إلى النظريات الثقافية لإعطاء الجواب؛ فيرى أن الفرد المنحرف حينما يختار السلوك الجانح؛ ذلك لأن القوانين الرادعة ليست بذات قوة السلوك المنحرف. ومن ثم فإن المعايير القوية هى التى تسيطر على ما دونها، وهذا ما يطلق عليه تسمية "الترابط الثقافى " أو الاختلاط التفاضلى .

وهو ترابط يصح على جماعة المجرمين وغير المجرمين؛ فالفرد يصبح جانحًا إذا ما وجد أمامه نماذج ومعايير سلوكية جانحة، لا تجابهها معايير متكيفة على درجة كافية من القوة.

خلاصة هذه النظرية أن الانحراف ينتج فى نهاية الأمر حسب "سوذرلاند"، عندما "يتعرض الشخص لمعايير جماعة جانحة، تجذبه بشكل تتغلب فيه على معايير الجماعة المتكيفة . ويتدرب من خلال الاتصال الشخصى على فنون الانحراف . ويتمثل نمط

الوجود الجانح السائد فى تلك الجماعة حتى يتبناه بشكل نهائى. " ( د/ مصطفى حجازى، 1981، ص 83).

ورغم أهمية هذه المساهمة فى الكشف عن الثقافات الفرعية وما تحتويه من قيم وقواعد سلوكية، تؤدى إلى الانحراف والجريمة، إلا أنه يظهر أن الانحراف ليس استجابة آلية لعوامل مولدة للجريمة، بل نهاية تطور حياتى، يؤدى إلى تغيير كلى فى موقع الشخص، وطبيعة إصابته، من خلال تغيير جوهرى فى الانتماء الجماعى . إلا أن هذا لا يمس كل الأفراد بالدرجات نفسها، حتى ولو عاشها هؤلاء فى محيط جانح، ذلك أن المعطى الشخصى وهو عملية التمييز وإدراك ما يجرى فى الخارج، الذى ينتج عنه توجيه السلوك كأنها انعدمت (عملية التمييز والإدراك) هنا لدى الفرد، حسب "سوذرلاند "، أى عدم اهتمام هذا المنظور بالكشف عن الأسباب المؤدية إلى جنوح البعض وعدم جنوح الآخرين؛ ممن لديهم الخواص والمواصفات نفسها، وممن يعيشون داخل البيئة الاجتماعى نفسها، وينتمون إلى الثقافات الفرعية نفسها.

يظهر كذلك أن هذا المنظور يعانى من عدم مقدرته على تفسير كل صور السلوك الجانح؛ ذلك أن متعاطى المخدرات والمصابين بالشذوذ فى سلوكهم لا ينتمون بالضرورة إلى ثقافة فرعية، بل قد تنتمى الغالبية منهم إلى ثقافة سائدة .

كما أن هذا المنظور لم يعط الوسائل والطرق الكفيلة بقياس كمية السلوك الإجرامى المكتسب، عن طريق الاختلاط بالجماعات المختلفة؛ مما يدعونا إلى عدم التسرع فى تعميم هذه النظرية .

### 3.منظور اللامساواة الاجتماعية

ظهرت هذه الفكرة فى بداية الثلاثينيات على يد علماء الاجتماع الأمريكان، حيث بدأ الاهتمام بعدم المساواة الاجتماعى، واضعين بذلك فكرة الصراع الثقافى فى الدرجة الثانية . ومن بين هؤلاء العلماء الذين ظهروا بقوة، وتركوا أثراً كبيراً فى هذا المجال، العالم " روبير. ك. ميرتون " Rober K. Merton، الذى قال بأهمية الفارق ما بين الأمل فى النجاح الاجتماعى الذى تنتجه الأيديولوجية الفردية للمجتمعات الحديثة،

وحقيقة اللاتساوى الاجتماعى والجنسى، الذى لا يسمح بمد وسائل النجاح لكل فرد. وهو منظور، كما هو ملاحظ، يقع تحت مفهوم اللامعيارية الذى قال به "دوركايم " ؛ فالمجتمع فى رأى "مورتون " يمارس ضغوطًا دائمة على أفراده لرفع مستوى طموحهم، كما أنه يؤكد فى الوقت نفسه خطأ وعيب التخلى عن هذا الطموح، وكيف يؤدى ذلك إلى ضروب من السلوك غير المتكيف .

بناء على ذلك يرى " مورتن" أن لكل بنية اجتماعية، عنصرين أساسيين تحددهما الأهداف والمعايير .

وتظهر الأهداف فى الآمال المشروعة التى يحددها المجتمع لأفراده، أما المعايير فهى مجموعة القواعد التى تحكم السلوك، وتضبط وسائل الوصول إلى الأهداف من خلال قنوات عديدة.. ولذلك هناك طرق مثلى، كما أن هناك طرقًا مستحسنة، وأخرى مقبولة وغيرها ممنوعة.

فإذا أعطى المجتمع وزنا مبالغا فيه للأهداف على حساب المعايير، تزداد الطرق المؤيدة إلى تلك الغايات، وتتبع الطرق الفعالة لكن على حساب السبل المشروعة . وينتج عن ذلك انتشار النشاطات الجانحة للوصول إلى الهدف باستعمال أى وسيلة، حتى ولو كانت تتعارض مع المعايير.

يستنتج "مورتون " نماذج التكيف الفردى الممكن رداً على التناقض، الذى وضعته البيئة الاجتماعية؛ حيث حصر هذه النماذج فى خمسة، وهى كما يلاحظ أنماط تكيفية لاتتعلق بشخصية الفرد عموما، بل بأدواره فى الوضعيات المختلفة، كما أنها وضعيات متغيرة تبعًا لدور الشخص فى الوضعية .

إن الذى نستنتجه من نظرية "اللا مساواة الاجتماعية " أن تناقض المجتمع بين الأهداف التى يدعو إليها من جهة، وعدم توافر الوسائل المشروعة من جهة أخرى لبلوغ تلك الهداف، يؤدى إلى حالة صراع شديد خصوصا إذا ازدادت الضغوط نحو الأهداف؛ مما ينتج عنه الخروج عن المعايير الاجتماعية إلى الدخول فى السلوك المنحرف.

| أنماط التكيف | الأهداف | الوسائل |
|---|---|---|
| ـ الامتثالى | + | + |
| ـ المجدد | + | - |
| ـ الطقوسى | - | + |
| ـ الهروبى | - | - |
| ـ المتمرد | + | + |

وتعنى إشارة ( + ) الموافقة، أما ( ـ ) فتعنى الرفض، أما إشارة (+ / -) تعنى الرفض ومحاولة التغيير فى آن واحد ، فى ( حجازى، 1981، ص ص 86-87 ).

بمعنى أن البناء الاجتماعى فى المجتمع الكبير يمارس ضغوطًا على بعض الأشخاص تدفعهم إلى السلوك غير السوى، وأن السلوك الجناحى ما هو إلا نتيجة للتناقض بين الأهداف المحددة ثقافيا والوسائل التى تقرها النظم الاجتماعية لتحقيق تلك الأهداف، يقول روبيرت ميرتون 1957 : " إن المجتمع الأمريكى مثلا يضع النجاح كهدف لكل فرد، ويركز بشكل أكبر على الهدف وليس على الوسائل المشروعة لتحقيقه، وبالتالى.. فإن كثيراً من الناس غير القادرين على تحقيق أهداف النجاح المادى عن طريق الوسائل المشروعة، يلجأون إلى وسائل أخرى انحرافية لتحقيق تلك المكاسب، وينطبق ذلك بصفة خاصة على ذوى الدخل المحدود المزودين ثقافياً بتطلعات النجاح بينما هم محرومون من الفرص المتساوية لتحقيق تلك التطلعات....".(Robert Merton, 1957 PP141-153;).

فالسلوك المنحرف عند "مورتون " إذًا هو وليد الوضعية الاجتماعية المتناقضة التى تدعو من جهة إلى المبادرة واستغلال الفرص السانحة، ومن جهة اخرى لا توفر الوسائل الكافية للجميع بالمستوى نفسه لتحقيق الآمال المشروعة خاصة؛ الشىء الذى يجعل الفرد يحس بصراع وعدم توازن حيال هذه الازدواجية المتناقضة؛ مما يسقطه فى الانحراف .

وهكذا يلاحظ أن "مورتون" قال باضطراب البنية الاجتماعية التى تعرض التناقض على أفرادها، مما يدفع بهم إلى السقوط فى الصراعات النفسية، المفضية إلى الانحراف،

الذى يمكن أن يفسر كمخرج ممكن لذلك الصراع؛ بمعنى أن السلوك المنحرف لا ينشأ عند " مورتن " إلا نتيجة تعاون كل من النظام الاجتماعى وثقافة المجتمع على نشأته وتطوره.

وعلى غرار ذلك ظهر من نادى بهذه الفكرة، بالأخص كل من " ريتشارد كلوارد Clouard Richard، ليود أوهيلان " Ohelin Lyold حيث ذهبا إلى أن شعور الجانح باللاعدل هو الذى يؤدى إلى قيام انتهاك المعايير الاجتماعية من خلال كتابهما المعنون بـ"الجنوح والفرص " حيث أشارا إلى العقبات، التى يطرحها المجتمع الأمريكى فى طريق أفراد الطبقة الوسطى المريدين لتحقيق أهدافهم؛ ذلك أن المجتمع ينكر لهم فرص تحقيق الجناح .

وتشمل هذه العقبات الفروق الثقافية واللغوية والعجز المادى، وعدم وجود فرصة للاقتراب من المصادر الحيوية لحركة الصعود والتقدم إلى أعلى . كما يلاحظ أن الازدحام فى المدن الكبيرة يجعل الفروق الطبقية أكثر وضوحًا، سواء فى امتلاك السيارات أو المساكن أو غير ذلك.

وحينما تواجه الأساليب أو الطرق الشرعية للإنجاز الأهداف ببعض العقبات.. فإنه ينتج عن ذلك إحباط شديد يجعل الأشخاص معرضين لضغوط قهرية للجوء إلى الطرق غير الشرعية، ومن ثم تظهر الجرائم، وجرائم الشباب من خلال العصابات أحد مظاهر المسالك غير الشرعية لتحقيق الأهداف، فى (Masters ,R & Robinson, c 1990,p191).

غير أن المأخذ الأساسى ـ كما يقول حجازى ـ الذى يمكن أن يؤخذ على "مورتون " وغيره "... هو تجاهله المقصود للبعد الشخصى فى مشكلة الانحراف، فهو مصيب فى رفضه إرجاع السلوك الجانح إلى عوامل نفسية مرضية محضة، وهو مصيب كذلك فى تأكيده البعد الاجتماعى لذلك السلوك. وهو مصيب فى المقام الثالث فى حديثه عن سلوك جانح سوى نفسيا ، ولكن رغم ذلك كله لا يمكننا فهم هذه الظاهرة من خلال بعدها الاجتماعى وحده ..." (حجازى، 1981، ص 92) .

إن التناقض الاجتماعى ـ كما يرى "حجازى" ـ لا يمارس تأثيره بالمستوى نفسه على جميع أفراد المجتمع، كما أن الأفراد لا يتعرضون إلى الضغوط نفسها، ولا بالدرجة

نفسها، ولا يردون عليها بالفعل نفسه، فبعض الأفراد قد يعانون اضطرابات داخلية تتضخم وتنفجر نتيجة التناقض الاجتماعى.. هذه التناقضات بحد ذاتها هى بدورها نتاج مآزق علائقية (أسرية، مدرسية...) يدركها الطفل على أنها مهددة، لتصبح معطى فكرياً داخلياً يتصرف الطفل على ضوئه كلما توافرت الظروف السانحة لذلك .

## 4. تعليق على منظور علماء الاجتماع

تظهر هذه التناولات جميعها توجهًا نحو تفسير السلوك الجانح على أن أصله اجتماعيا ثقافيا، وأن الفرد بذلك ما هو إلا معطى ثقافى اجتماعى، يتأثر بمحيطه، وأن دراسة هذا السلوك المنحرف ترتبط بدراسة طبيعة الجماعة التى يعيش فيها .

وفى هذا المعنى يعتبر الجنوح ظاهرة سلوكية تنشأ من خلال التفاعل الاجتماعى بين الفرد والآخرين ( ايدوين سوذرلاند )، أو بين الفرد والمنظمات والمؤسسات الاجتماعية التى يخضع لها الفرد (ثورستين، سيلين، كوهين ...). أو بين الفرد والتركيب الاجتماعى ( مورتون، كلوارد، أوهلان...).

بمعنى آخر وحسب علماء الاجتماع.. فإن حتمية المحيط (الاجتماعى والثقافى) مسلمة يخضع لها الفرد دون غيرها.

كما يلاحظ تركيز هذه التناولات المختلفة على دور العوامل أو القوى الخارجية (المجتمع، الثقافة، الصراع بين البنيات ..) فى نشأة الجريمة أو الجنوح، دون أخذ العوامل المعرفية والدينامية الداخلية بعين الاعتبار؛حيث تفترض أن السلوك الإجرامى لايختلف فى طبيعة تكوينه عن مجموع السلوك الاجتماعى العام للفرد؛ ذلك أن كلاً من هذين النوعين من السلوك يخضع فى طبيعته إلى عمليات اجتماعية واحدة.

ومن ثم.. فهم يستجيبون لهذه العمليات والعوامل الاجتماعية استجابات ميكانيكية وبشكل واحد ومتشابه، وفى هذا السياق يؤكد "نايتزل " Nitzel, M.T ثلاثة عوامل أساسية : " الخصائص الخارجية المشتركة بين كل منتهكى القانون، والأسباب التى سبقت السلوك الإجرامى، والاستجابات التى برزت من التكوين البيئى، الذى يؤثر فى جماعة كبيرة من الأشخاص، بما فى ذلك الطبقة الاجتماعية والاعتبارات السياسية والجغرافية " .(Nitzel M.T ,1979,p122)

وبهذا تكون مقاربة علماء الاجتماع قد أهملت أسس العوامل الداخلية فى تفسير

السلوك الإجرامى إهمالا واضحا ماعدا نظرية " سوذرلاند " (الترابط الثقافى). والواقع أن الفصل بين الظروف الاجتماعية والعوامل الداخلية للفرد، هو أمر مخالف لواقع التفاعل الاجتماعى، بين الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه؛ فليس هناك شك فى أهمية الظروف والعوامل الاجتماعية والثقافية وتأثيرها فى سلوك الفرد، ولكن الفرد ذاته يؤثر فى البيئة الاجتماعية والثقافية التى يعيش فيها، ولايمضى التأثير فى اتجاه واحد فقط كما أقرت النظريات الاجتماعية السالفة الذكر.

بل ذهبت هذه النظريات إلى تأكيد العوامل المشتركة أو العامة التى تؤثر على المجرمين، أكثر من تأكيد بعض العوامل التى تفسر سلوك أحد المجرمين، وهذا ما دعى إليه " نايتزل " بإجبارية إهمال الفروق الفردية؛ ذلك أنه ليس لها تأثير يذكر فى ظهور الجريمة.

كما نظرت مجموع النظريات الاجتماعية إلى السلوك المنحرف من جانب واحد، ألا وهو الجانب الاجتماعى، واعتبار أن هذا الجانب العامل الوحيد المسؤول عن حدوث السلوك الإجرامى .

" ... غير أنه من المعروف أن الظاهرة الإجرامية ليست بسيطة بالدرجة التى تبحث عن تفسيرها فى محيط الظروف الاجتماعية وحدها، حيث إنها قبل أن تكون تعبيرا عن ظاهرة عامة .. فإنما هى تعبير عن سلوك فردى، ومن مجموع السلوك الفردى تأخذ الظاهرة صفة العمومية " (د/ محمد شحاته ربيع وآخرون، 1995، ص 105).

كخلاصة لما فات، يظهر عموما من خلال مقاربة علماء الاجتماع أن حتمية مجاراة المحيط هى مسلمة لهذه التناولات؛ فإذا كان ذلك صحيحا.. فإن أفراد المجتمع سيصبحون كلاً يساير الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها . وبالتالى حتما سيصبح كل الذين يعيشون فى بيئات فقيرة اقتصاديا وثقافيا عرضة للجنوح والدخول فى الجريمة، وهذا ما لم نلاحظه بعد . بل عكس ذلك، كم هم الأفراد الفقراء المتمسكون بالمثل، بل ويموتون من أجلها، لم يلجوا أعتاب الجنوح . وسيصبح كذلك حتما كل الذين ينتمون إلى الطبقات العليا بعيدين عن الجنوح، بينما الواقع يكشف عن عكس ذلك.

نحن لا ننفى ما للمحيط من اثر بالغ فى التأثير على الفرد، ولكن ليس لدرجة أن يجعله لا يمتلك إرادة توجيه سلوكه .وإلا لماذا نعاقبه إن أذنب؟ .

بل نذهب إلى أن كيفية إدراك وتفسير المحيط هو الذى يجعل المحيط يؤثر بدرجة عالية أو بسيطة . وبما أن عملية إدراك المحيط وتفسيره مكتسبة فى السنوات الأولى من الطفولة.. فإن هذه العملية تتأثر بجو الأسرة ـ أولاً ـ التى تربى فيها الفرد، وبالأخص بالمعاملات الوالدية التى يعيش فيها الطفل لمدة سنوات طويلة؛ بحيث تكون لديه القاعدة الأساسية التى يضل يلتجئ إليها فيما بعد، فى تفسير كل مثيرات المحيط ويسلك على أساسها.

إن التفسير الأحادى لظاهرة الجنوح من خلال حتمية المحيط من جهة وإلغاء دور العوامل المعرفية والدافعية لدى الفرد من جهة أخرى، وعدم القول بتفاعل هذه العوامل من جهة ثالثة، يجعلنا بالظرورة نلتجئ إلى مقاربات أخرى اهتمت بالظاهرة قيد الدراسة.